# مترجمو ألف ليلة وليلة

بقلم : خورخى لويس بورخيس

ترجمة وتقديم الدكتور / حامد أبو أحمد

خورخى لويس بورخيس كاتب أرجنتينى يتعدى عمره الآن الثمانين عاما ويعد من أعظم الكتاب وأشهرهم فى العالم · وهو أحد كتاب أمريكا اللاتينية الذين أصبحت شهرتهم تكاد تعلو على أى كاتب آخـــر فى أوربا وأمريكا · ونظراؤه فى أمريكا اللاتينية جابيريل جارثيا ماركث ( نوبل فى الآداب ١٩٨٢ ) ، وخوان كارلوس أونيتى وأوكتافيوبات وماريو فارجاس أيوسا وسواهم · ويتميز بورخيس من بين هؤلاء جميعا بأنه أكثرهم اهتماما بالموضوعات العربية ، ولعل قراءنا العرب قرؤا شيئاً عن كتابه الشهير الذى يحمل عنوان « الألف » وهو بحث فى لانهائية الأدب كما أن هذا المقال الذى نقدم ترجمته الآن أبرز دليل على هذا الاهتمام · ومعروف أن الاتجاه الذى ساد فى أدب أمريكا اللاتينية خلال العقود الأخيرة هو ما أطلق عليه « الواقعية السحرية » ، ومن ثم فليس غريبا أن يتأثر هؤلاء الكتاب بألف ليلة وليلة · وقد أعترف جابريل جارثيا ماركث أكثر من مرة بأن أكبر التأثيرات على أدبه جاءت من مصدرين هما « حواديت » جدته ، وقراءته لألف ليلة وليلة ·

والمقال الذى تقدم ترجمته الآن منشور فى كتاب « تاريخ الخلود » الذى ظهرت أول طبعة منه عام ١٩٣٦ ، ثم أعيد طبعه مرة ثانية عام ١٩٥٣ ، ثم توالت الطبعات بعد ذلك لدرجة أنه طبع فى سلسلة « كتاب الجيب » أربع مرات خلال عقد السبعينات ·

والمقال يتناول أشهر ترجمات « الليالى » فى الغرب بالتحليل والتعليق والمضاهاة ، مثل ترجمة جلاند ، ولين وريتشارد بورتون وماردروس وليتمان، ويشتمل المقال على تلميحات كثيرة لموضوعات غريبة ربما تحتاج الى الشرح لكننا لم نفعل ذلك حتى لا نخرج به عن دائرة المقال العادى الذى ينشر فى مجلة سيارة · كما آثرنا ترك بعض الشواهد بلغتها الانجليزية حتى يستطيع القارىء الملم بهذه اللغة ادراك هدف الكاتب من ايراد الشاهد أو المضاهاة بينه وبين نص آخر ·

ونود أن نلفت نظر القارىء الى أهمية كتاب « الف ليلة وليلة » للدكتورة سهير القلماوى اذا كان يريد قراءة دراسة أخرى عن الليالى فى الغرب فضلا عما نشرته مجلة « الدوحة » عدد سبتمبر ١٩٨٣ تحت عنوان « على بابا قصة عربية لا أرمنية ولا تركية » بقلم محمد فهمى عبد اللطيف ... الخ .

وأخيرا اليك قائمة بالنسخ التى قام خورخى لويس بورخيس بالمضاهاة بينها ، ونفضل أن ننقلها كما جاءت بلغتها الأصلية : -

— Les Mille et une Niuts, contes arabes traduits par Galand. Paris, s.d.
— The Thousand and One Nights, Commonly Called the Arabian Nights' Entertainments. A New translation from the Arabic, by E.W. Lane. London, 1839.
— The Book of the Thousand Nights and a Night. A ptain and literal translation by Richard F. Burton. London (?), n.d. Vols. VI, VII, VIII.
— The Arabian Nights. A Complete (sic) and unabridged seleetion from the famous literal translation of R.F. Burton. New Yrok, 1932.
— Le Livre des Mille Nuits et Une Nuit. Traduction littérale et complète du Texte arabe, par le Dr. J.C. Mardus. Paris, 1906.
— Tausend und eine Nacht. Aus dem Arabischen übertragen von Max Henning-Leipzig, 1897.
— Die Erzäblungen aus der Tausendundein Nächten. Nachdem arabischen Urtext der Valcuttaer Ausgabe vom Jahre 1839 übertragen von Enno Littmann. Leipzig, 1928.

وفيما يلى نص مثال خورخى لويس بوخيس ( وقد بذلنا غاية الجهد من أجل الدقة فى الترجمة بالرغم من صعوبة أسلوب بورخيس ، وايجازه الشديد وامتلائه بكلمات وعرة وتعبيرات غـريبة تختلف بعض الشىء عن الأسلوب الأسبانى العادى ) .

## ٢ ـ الكابتن بورتون

فى تريست عام ١٨٧٢ وفى قصر يزدان بتماثيل ندية وأعمال ليست كلها مما يوائم الصحة كان ثمة رجل حفر التاريخ وجهه بعلامة أفريقية هو الكابتن ريتشارد فرانسيس بورتون القنصل الانجليزى ، وقد قام هذا الرجل بمهمة الترجمة الشهيرة لكتاب « ألف ليلة وليلة » · ومن بين الأسرار الدقيقة التى كان ينطوى عليها هذا العمل هو القضاء على رجل آخر ( كان يرسل ذقنه أيضا وكأنه عربى ) كان يقوم هو الآخر فى انجلترا بتصنيف قاموس موسع ، وقد مات قبل أن يقضى عليه بورتون · هذا الرجل الأخير هو ادوارد لين المستشرق صاحب الترجمة الدقيقة « لألف ليلة وليلة » التى جاءت على اثر ترجمة أخرى للمستشرق جالاند · أى أن ترجمة لين تصحيح لترجمة جالاند وترجمة بورتون تصحيح لترجمة لين ، ومن ثم لكى نفهم بورتون يجب أن نفهم هذه المملكة من الخصوم ·

وأبدأ بالمؤسس · فمن المعروف أن جان أنطوان جلاند كان مستعربا فرنسيا · وهو الذى أحضر من أسطنبول مجموعة كبيرة من العملات النقدية، وبحثا حول أنتشار القهوة ، ونسخة عربية من ألف ليلة وليلة فضلا عن أحد الموارنة الذى لا تقل ذاكرته الهاما عن ذاكرة شهر زاد · ونحن ندين لهذا المساعد المجهول ـ الذى لا يعرف اسمه ويقال أنه كان يسمى حنا ـ بعدد من القصص الهامة غير الموجودة فى النص الأصلى هى : قصة علاء الدين ، وقصة الأربعين حرامى ، والأمير أحمد والجنيه ، وأبو الحسن النائم اليقظ ، والمغامرات الليلية لهارون الرشيد ، والأختان الحاسدتان للاخت الصغرى · ويكفينا تعداد أسماء هذه الحكايات للدلالة على أن جالاند قد وضع قاعدة هامة هى اضافة حكايات أصبحت لا غنى عنها بمرور الزمن ، ولهذا فان المترجمين الذين جاءوا بعده ـ أعداءه ـ لم يجرؤوا على اغفالها ·

وثمة حدث آخر لا شك فيه ، وهو أن أشهر آيات المديح والثناء على الليالى ( ما قاله كولويدج ، وتوماس دى كينسى ، وستندال وتنسون ، وادجار ألن بو ونيومان ) قد صدرت عن قراء لترجمة جالاند · وقد مرت بعد هذه الترجمة مائتا عام وصدرت عشر ترجمات أخرى أفضل منها ، ولكن القارىء الأوربى أو الأمريكى عندما يفكر فى « ألف ليلة وليلة » لا تخطر على ذهنه

الا هذه الترجمة الأولى · أما صفة milyunanochesco ( النسبة الى ألف ليلة وليلة باللغات الأوربية ) فلا صلة لها بأسلوب بورتون الرصين الفاحش ولا بأسلوب ماردروس وانما جاءت من جواهر أنطوان جالاند وسحر لغته ·

وباختصار فان ترجمة جالاند تعد أسوأ الترجمات جميعـــا وأكثرها خروجا عن النص وضعفا ولكنها أكثر الترجمات قراءة · والذين قرأوها واندمجوا بها عرفوا بالفعل معنى السعادة والدهشة · وقد أثر ما فيها من سحر مشرقى على كثيرين ممن كانوا ينفعلون بهذا النوع من التأليف · وقد ظهرت الأجزاء الاثنا عشر الأولى من هذه الترجمة خـــلال الفترة من عام ١٧٠٧ الى عام ١٧١٧ ، وهذه الأجزاء قرأها عدد لا يحصى من الناس ونقلت الى مختلف اللغات بما فى ذلك النهدوسية والعربية · ونحـن قـراء القـرن العشرين نجد فيها طعم القرن الثامن عشر اللذيذ أكثر مما نجد عبق الشرق المتلاشى الذى كان قد انقضى طريفه وبهاؤه منذ حوالى مائتى عام · ولا شك أن ذنب الاختلاف لا يعود الى أحد حتى ولا الى جالاند نفسه · ففى بعض الأحيان كانت فروق اللغة تضر بالسياق · وفى مقدمة احـــدى الترجمات الالمانية لألف ليلة وليلة يقول الدكتور ويل : ان تجار جالاند يحملون حقيبة من البلح كلما اضطرتهم الحكاية الى عبور الصحراء · ويمكن تفسير هذا بأنه فى عام ١٧١٠ كان ذكر البلح يكفى لاغفال صورة الحقيبة ، لكنها على أية حال اضافة غير لازمة ، فمعروف أن ماكان يستخدم حينئذ هو الغرارة ·

وثمة انتقادات أخرى · ففى الاطراء الذى يتصدر « القطع المختارة » عام ١٩٢١ يستنكر أندريه جيد ترخصات أنطوان جلاند بهدف الذم فى التزام ماردوس بالحرية فى الترجمة ( مع أنه لم يكن كذلك ) فى نهايات القرن الماضى أى أن الخروج على النص فى القرن الثامن عشر يقابله التزام بحرفيته فى نهايات القرن التاسع عشر ·

وتحفظات جالاند معروفة ، فهى متصلة بالديكور لا بالأخلاقيات وأنا أنقل هنا بعض السطور من الصفحة الثالثة من كتابه ، يقول : « لقد توجه مباشرة الى حجرة هذا الأمير الذى لم ينتبه لقدمه ، وكان معه على سريره أحد الموظفين العاملين فى قصره » · ولكن بورتون يحدد هوية هذا المـوظف

بانه طباخ أسود ، ممن عرفوا مهنة الطبخ والدهن · ولا شك أن كليهما مخطىء لأن الأصل العربى أقل احتفالية مما ورد فى ترجمة جالاند وأقل شحوبة مما ورد فى ترجمة بورتون · ( لقد ورد كل هذا بتأثير الديكور أو دواعى المنظر، وعبر عنه بورتون فى رصانة ، حاذفا عبارة « معـــــه على سريره » لأنهـا قاسية » ·

وبعد موت أنطوان جالاند بتسعين عاما ولد مترجم آخر لألف ليلة وليلة هو ادوارد لين · ويذكر كتاب سيرته أنه ابن الدكتور تيوفين لين صاحب وقف هيرفورد · ولعل هذا البيان وحده كاف للتعريف به · وقد عاش هذا المستعرب خمس سنوات دراسية فى القاهرة ، خالط فيها المسلمين بصـفة شبه دائمة ، يتحدث اليهم ، ويستمع الى لغتهم ويألف عاداتهم فى عنـــاية فائقة ، حتى أنهم كانوا ينظرون اليه على أنه واحد منهم · ولكن الليـــالى المصرية الطويلة ، والقهوة السوداء المزوجة بحب الهال ، والمناقشات الأدبية التى كانت تدور عادة بينه وبين أســـــاتذة القانون ، والعمـــامة الوقورة المصنوعة من قماش رقيق ، وعادة الأكل بالأصابع ، كل هذه الأشياء لم تجعله ينسى خجله البريطانى ووحدته الرقيقة المستجمعة المعروفة عن أهل بريطانيا · ومن ثم فان ترجمته الرصينة لألف ليلة وليلة تبدو وكأنها مجرد دائرة معارف عن الهروب · وبما أن النص الأصلى لا ينطوى على فحش ظاهر فقد كان جالاند يصحح ما كان يعتقد أنه مخل بالذوق العام · ولكن لين كان يبحث عن العبارات الداعرة ويفتش عنها وكأنه محقق · وكانت أمانته فى الترجمة تلزمه بالافصاح عن كل شىء ، ومن ثم فانه كان يفضل وضع مجموعة كبيرة من الملاحظات أمام سطور قليلة وذلك على النحو التالى : ـ

« اننى أتخطى هنا حدثا يســـتوجب الذم ، وأحـــــذف هنا بعض الاستطرادات المقززة وهنا سطرا يستعصى على الترجمة · أحذف حكاية من هنا ، ابتداء من هذه السطور سوف أحذف الفقرات ، هنا حكاية العبد فلان ليست صالحة للترجمة » · وهذا الحذف قد يأتى أحيانا على حكايات كاملة يرفضها المترجم تماما لأنها فى رأيه لا يمكن أن تسلم من الفحش الا بالغائها تماما · وعلى أية حال فان هذا الحذف المسئول لا يبدو لى غير منطقى ، ذلك لأنى لا أدين الا الهروب المتنطع ، ولم يكن لين متنطعا ، ولعله يعد من طلائع

ملتزمى الحشمة والوقار فى هوليود · وهاك مثالان لهذا النوع من المعالجة عند لين · فى الليلة ٣٩١ قدم أحد الصيادين سمكة لملك الملوك وأراد الملك أن يعرف هل هى ذكر أم أنثى فقالوا له انها خنثى · ولكن لين يغير لهجة هذا الحوار فيترجمه على أن الملك سأل : من أى نوع هذا الحيوان ؟ فأجابه السماك الماكر بأنه من نوع مختلط · وفى الليلة ٢١٧ تتحدث الحكاية عن ملك متزوج بامرأتين ، يبيت ليلة مع الأولى والليلة التالية مع الثانية وهذا ما ورد فعلا فى الحكاية ولكن لين يخفف من مغامرة هذا الملك قائلا بأنه كان يعامل زوجاته بالقسط · ولعل السبب فى اتجاه لين لهذا اللون من المعالجة هو أنه كان يعد كتابه لندوات الصالونات ، وكانت مراكز للقراءة المتأنية والمحادثات المتأنقة ·

وكان يكفى أن يجد لين أى اشارة جسدية فى القضية حتى ينسى تماما دقته فى الترجمة ويزيد من تحريفاته ونسخه لكثير من الفقرات · وليس ثمة عيب آخر غير هذا فى ترجمته · ولولا ذلك لكانت ترجمته من أكثر الترجمات دقة · انها تخلو من أى أهداف غير علمية وهذه فى حد ذاتها ميزة ايجابية· وهو لا يحاول ابراز بربرية بعض المشاهد فى ألف ليلة مثلما فعل الكابتن بورتون ، كما أنه لم يلجأ الى التناسى أو التخفيف مثلما فعل جالاند الذى قام بتطويع المشاهد العربية حتى لا تصطدم بالبيئة الباريسية بينما كان تصرف لين يتجاهل التجديدات الحرفية ولكن لين كان يبرر شروحه لكل كلمة تبدو مستغلقة على الفهم · وكان جالاند يستشهد بمخطوط خفى ، ومارونى ميث ، بينما لين يستشهد بالطبعة والصفحة · كما أن جالاند لم يكن يحفل بالملاحظات ، ولكن لين كان يحشد مجموعة من التفسيرات التى لو نظمت لنتج عنها مؤلف كامل مستقل · أى أن ترجمة لين كانت تختلف عن الأصل أحيانا، وهذه هى القاعدة التى وضعها سلفه من قبل ، ووفى بها هو ، اذ كان يكفيه ألا يحدث خللا كبيرا فى النص ·

وقد كان للمناقشة الشيقة التى دارت بين نيومان وأرنولد ( ١٨٦١ ـ ١٨٦٢ ) وهى التى حظيت بشهرة أكثر من شهرة صاحبيها ، كان لها أثر فى اضفاء صفة الصحة على كلتا الطريقتين فى الترجمة · وقد دافع نيومان فى هذه المناقشة عن الطريقة الحرفية والتوقف عند كل المفردات الواردة فى

النص ، أما أرنولد فقد دافع عن طريقة حذف التفصيلات التى تحرف معنى النص أو تقعد به عن البيان · والطريقة الأولى يمكن أن تؤدى الى التناسق والاطراد ، أما الثانية فتثير الدهشة وتؤدى الى استمرارية النص ، وعلى أية حال فان كلتا الطريقتين تقلان فى الأهمية عن قيمة المترجم نفسه ومهارته الأدبية · ان ترجمة روح النص هدف عظيم وشيق اذا لم يضر بالنص ، أما الترجمة الحرفية ففيها دقة شديدة لا يخشى عليها من التجريب · ولكن ما هو أخطر من هذين الهدفين الجيدين هو اضافة بعض التفصيلات أو حذفها ، وأخطر من هذا وذاك هو طريقة التعامل مع الاتساق النحوى · نعود الى نص لين فنجده شيقا · ففى كلماته يشيع استخدام مفردات لاتينية كثيرة موضوعة بكاملها دون اللجوء الى أى نوع من الاختصار · كما أنه مسل : ففى ترجمته ترد صفة رومانتيكى ، وهذا نوع من المستقبلية ، اذ كيف ترد على لسان أحد المسلمين فى القرن الثانى عشر · وفى بعض الأحيان تخونه الحساسية لدرجة أنه يدخل أصواتا عامية فى نص المتحدثون فيه من الخاصة ، وأفضل مثال على هذا التآلف بين كلمات غير متجانسة هو التالى:

And in th is palace is the
last information respecting lords collected in the dust.

وثمة مثال آخر يقول : « باسم الحى الذى لا يموت ولا يحق عليه الموت ، باسم هذا الذى ينسب له المجد والخلود » ·

ففى بورتون الذى يعد طليعة للخرافى ماردروس أشك فى أنه يمكن أن يستخدم صيغا شرقية صوفية كهذه ، وفى ترجمة لين تقل أمثال هذه الصيغ حتى ليعتبر المرء وجود بعضها أمرا لا ارادیا ·

ولا شك أن الديكور الفاضح لشروح كل من جالاند ولين قد أدى الى ظهور مجموعة من المساخر أصبحت العودة اليها أمرا تقليديا · وأنا نفسى ألقيت بدلوى فى هذا المعترك · ومعروف جدا أنهما لم يستكملا مشهد المسكين الذى رأى « ليلة السلطة » ، والسباب الذى صدر عن ذبال من القرن الثالث عشر أختلسه متصوف ، فضلا عن عادات اللواط · اذن فهم بذلك قد حذفوا بعض التفاصيل بهدف تطهير الحكاية ·

ويرى الشارحون أن هذا الاجراء يقضى على السذاجة الجميلة فى النص · ولا شك انهما مخطئان : فكتاب ألف ليلة وليلة لا يعتبر من الناحية

الأخلاقية ساذجا ، أنه اقتباس لحكايات قديمة تتفق مع أذواق الطبقات المتوسطة فى القاهرة · وفيما عدا قصص السندباد النموذجية فان الفحش فى الليالى لا صلة له بحرية الحياة الفردوسية · انها مجرد شطحات من ناشر القصص : هدفه هو القهقهة ، ولذلك فان أبطاله ليسوا الا من المهرجين أو العبيد أو الخصيان · أما حكايات الحب القديمة فى القصة والتى تشير الى بعض حالات فى الصحراء أو فى مدن شبه الجزيرة العربية فهى ليست فاحشة ، مثلما لا نجد شيئا من الفحش فى الأدب الجاهلى · انها حكايات حزينة ، وأحد موضوعاتها المفضلة هو الموت من الحب ، هذا الموت الذى رأى أحد العلماء أنه لا يقل قداسة عن موت شهداء الايمان ·· واذا وافقنا على هذا الرأى فان تحفظات جالاند ولين يمكن أن تبدو لنا وكأنها مراجعات للمسودة الأولى ·

وثمة تعليل آخر أفضل من هذا يقول بأن الاشارة الى المشاهد الجنسية فى الأصل ليست بالذنب الذى لا يغفره الاله ، لأن الأهم هو ابراز الجو السحرى · أن تقديم ديكاميرون جديد للناس ليس الا عملية تجارية تشبه تقييما آخر · ويرى ليتمان أن « ألف ليلة وليلة » هى قبل كل شىء مجموعة من المشاهد العجيبة والترجمة العالمية التى تعكس هذا الاتجاه من بين جميع الترجمات هى ترجمة جالاند · وهذا أمر لم يعد فيه أى شك · أما العرب فانهم أقل نشوة منا بهذا العمل ( أى ألف ليلة وليلة ) لأنهم متعودون على ما يرد فيه من شخوص وعادات وتمائم وصحراوات وشياطين ·

يقسم روفائيل كانسينوس آسنس فى أحد كتبه بأنه يستطيع أن يحيى النجوم فى ١٤ لغة قديمة وحديثة · وكان بورتون يحلم باجادة سبع عشرة لغة ، وهو يحكى لنا أنه قد أجاد خمسا وثلاثين لغة سامية وهندية ـ أوربية وأثيوبية وسواها ·· أنه بحر لانهاية له ، وهذا شىء ينسجم مع باقى مواهبه الفائقة · أنه يبرر سخرية هوديبراس ضد أباء الكنيسة بأنهم لا يستطيعون نطق أى جملة فى أكثر من لغة · كان بورتون رجلا لديه الكثير مما يقال ، وأبرز الأدلة على ذلك هو أعماله المكونة من أثنين وسبعين مجلدا · وهاك عناوين بعضها ، أختارها بمحض المصادفة : جوا والجبال الزرقاء ( ١٨٥١ )، « نظام التمرينات فى سنكى النبدقية » ، ( ١٨٥٣ ) ، « حكاية شخصية لرحلة

حاج الى المدينة » ٠ ( ١٨٥٥ ) ، « مناطق البحيرات فى أفريقيا الاستوائية» ( ١٨٦٠ ) ، « مدينة القديسين » ( ١٨٦١ ) ، « اكتشاف هضاب البرازيل » ( ١٨٦٩ ) ، « حول جذر الساحل الأخضر » ( ١٨٦٩ ) ، « رسائل من ميادين معارك بارجواى » ( ١٨٧٠ ) ، « صيف فى أيسلندا » ( ١٨٧٥ ) ، فى ساحل الذهب بحثا عن الذهب » ( ١٨٨٣ ) ، « كتاب السيف المجلد الأول » (١٨٨٤)، حديقة نافزاوى ذات الشذى » عمل منشور بعد وفاته ، سلمته للمطبعة ليدى بورتون ، فضلا عن تجميع بعض ما كتبه فى هجاء بريابو ٠ ويمكن أن نلخص سيرة بورتون فى السطور التالية : كابتن انجليزى شغوف بالجغرافيا وبطرق الوصول الى الرجولة الكاملة التى يشار اليها بالبنان ٠ ولا أود تشويه ذكراه ، فأشبهه بموران ، ذلك الرجل ذو اللسانين الملازم للجلوس ، الذى يصعد ويهبط باستمرار فى مصاعد أحد الفنادق الدولية وجعل من ذلك مشهدا جذابا ٠٠٠ أما بورتون فقد استطاع أن يتخفى فى زى أفغانى ويدخل المدينتين المقدستين فى شبه الجزيرة العربية : وكان قد طلب من الله أن يحرم شعره وبشره على النار ٠ وقد طبع قبلة على ذلك الحجر الذى يتعبد بتقبيله فى الكعبة ٠ وهذه المغامرة مشهورة ، لأنه لو خرجت أى شائعة تشى بوجود نصراني فى الكعبة لأدى ذلك الى قتله ٠ وكان بورتون قد مارس الطب قبل ذلك فى القاهرة منتحلا صورة الزهاد ، دون أن يتعد كثيرا عن هيئة الساحر حتى يحظى بثقة المرضى ٠ وفى حوالى عام ١٨٥٨ ذهب على رأس بعثة لاكتشاف منابع النيل السرية ، وقد أدى ذلك بالفعل الى اكتشاف بحيرة تنجانيقا ٠ وخلال هذه المهمة دهمته حمى شديدة ٠ وفى عام ١٨٥٥ أصابه خديه سهم أطلقه عليه بعض الصوماليين ٠ ( كان بورتون قادما من هرر وهى مدينة كانت محرمة على الأوربين فى أحراش الحبشة ) ٠ وبعد تسع سنوات من هذا التاريخ قام بضيافة آكلى لحوم البشر المشهورة فى داهومى ، ولدى عودته أنتشرت شائعات ( لعله هو نفسه قد أكدها بأنه أكل لحوما غريبة ، مثلما حدث لقنصل شكسبير الشره (١) ٠

---

(١) أعنى بذلك مارك انطونيو المعروف بلقب قيصر : ...On the Alps
It is reported, thou didst eat strange flesh
Which some did die to look on...

أعتقد أن هذه السطور تحمل بعض التأثير من أسطورة الافعوان الخرافى ، وهو ثعبان نظراته قاتلة ( انظر بلينيو ) التاريخ الطبيعى ـ الكتاب الثامن ـ فقرة ٣٣ ٠

وكان الرجل يكره اليهود والديمقراطية ووزارة الخارجية والمسيحية · بينما كان يهيم حبا باللورد بيرون وبالاسلام · أما مهنة الكتابة فقد جعلته يلتزم بعادات هامة : كان يبدأ الكتابة مع الفجر ، فى صالون كبير المساحة توجد به احدى عشرة طاولة ، على كل منها كل المراجع والأدوات اللازمة لاعداد كتاب ، واحدى الطاولات يوضع عليها باقة من الياسمين فى كوب ماء · وكانت له صداقات وغراميات كثيرة · ومن أهمها يكفى أن نذكر اسم سوينبورن Swinburne الذى أهداه الجزء الثانى من كتابه « قصائد وأغانى » وجاء فى الاهداء :

in recognition of a friendship which : I must always count among the highest honours of my life.

وقد رثاه فى كثير من قصائده ·

وكان بورتون رجل السيف والقلم · ولعله أستطاع أن يتمثـــل قول المتنبى : « الخيل والليل والبيداء تعرفنى ·· والضيف والسيف والقرطاس والقلم ، وأود أن أشير الى أنى لم أرفض ما أشيع حول بعض خصائص أو صفات بورتون ، ومنها أكله للحم البشر واجادته لعدد كبير من اللغات ، وهى كلها صفات يمكن أن ننظر اليها على أنها أسطورية · والســـبب فى ذلك واضح · فأظهر شىء على أن بورتون كان أســـطورة هو ترجمته لألف ليلة وليـــلة ·

ولعل هذا يوضح ذلك الأمر الذى أخذت أقلبه على وجوهه ذات يوم وهو « ما الذى يفرق جذريا بين الشعر والنثر » ، وقد أهتديت الى أن الفرق يكمن فيمن يقرأ هذا أو ذاك · فالشعر يعنى وجود تكثيف لا يسمح به فى النثر ·

---

ولم يذكر الكاتب شيئا عن قدرات هذه الحية ، ولكن لابد أن اقتران فكرتى النظرة والموت قد اثر على شكسبير ·

ان نظرة الافعون كانت سامة ، وعلى عكس ذلك فان القدرة الالهية تستطيع القتل بمجرد الاشعاع · ونظرات الله المباشرة لا يمكن تحملها ، فقد غطى موسى وجهـــه عندما كان على الجبل لانه خاف أن ينظر الى الله ، وحكيم نبى خراســان استخـدم حجابا مربع الاطراف من الحرير الأبيض حتى لا يعمى الناس ·

وشيء من هذا القبيل يحدث في عمل بورتون : ان له مكانة لا تساويها مكانة أي مستعرب آخر · انّ الممنوع يصبح عنده مرغوبا · ولم يطبع من هذا العمل الا ألف نسخة اكتتب لأجلها ألف قارىء من نادى بورتون ، وثمة التزام قانونى بعدم تكرار نفس الطبعة · ( تجدر الاشارة الى أن طبعة ليونارد · س · شميث بها بعض الاغلاط السيئة للغاية ، ومن ثم فان اعدامها بالكامل لن يسيء الي أحد · أما مختارات بينيت سيرف ـ التى تبدو وكأنها كاملة ـ فتأتى من نص بورتون ) · ولعلى لا أبالغ اذا قلت أن قراءة ألف ليلة وليلة فى ترجمة السير ريتشارد ليست أقل لا معقولية من قراءتها مترجمة حرفيا من العربى ومشروحة بقلم سيمباد البحار ·

والمشاكل التى حلها بورتون تستعصى على الحصر ، ولكن على أية حال يمكن حصرها فى ثلاث : انتشار شهرته بصفته مستعربا ، وايجاد فروق جوهرية بينه وبين لين ، وجذب اهتمام رجال بريطانيا فى القرن التاسع عشر بتقديم ترجمة مكتوبة لقصص اسلامية وحكايات شفوية من القرن الثالث عشر · ولعل الهدف الأول من هذه الاهداف لم يكن يتعارض مع الثالث ، أما الثانى فقد أدى به الى خطأ كبير أوضحه فيما يلى : هناك مئات من الأبيات والأغانى المتناثرة فى ألف ليلة ، ولما كان لين غير جريء على الانتحال « اللهم الا فيما يتعلق بالجسد فقد نقلها بدقة فى نثر جيد · أما بورتون فكان شاعرا ، ففى عام ١٨٨٠ طبع ديوانه « القصائد Las Casidas ، وهى مجموعة من الشعر المتطور الذى دأبت ليدى بورتون على الحكم عليه بأنه يعلو كثيرا على رباعيات فيتز جيرالد ··· وقد ساءه كثيرا لجؤ خصمه « لين » الى ترجمة هذه الأشعار نثرا ، ومن ثم فقد اختار هو ترجمتها شعرا وهو شيء لم يوفق فيه كثيرا ، لأنه يتعارض مع طريقته نفسها الملتزمة بالترجمة الحرفية · وفضلا عن ذلك فان الأبيات أصبحت ثقيلة على السمع وعلى المنطق أيضا · ومن ثم فليس غريبا أن تكون أفضل الابيات هى هذه :ـ

A night whose stars refused to run their course, A might of these which never seem outworn: Like Resurrection-day, of longsome length to him that Watched and Waited for the morn. (٢)

(٢) يتضح ايضا وجود تنوع فى الموضوعات كما هو موجود عند أبى البقاء الرندى وخورخى مانريكى : ـ

Where is the wight who peopled in the past Hind-land and Sind; and there the Tyrant played ?...

ولعل أسوأ الأبيات ليست هى الأبيات التالية فحسب : ـ

A sun on Wand in Knoll of sand she showed, Clad in her cramoisy-hued chemisette : Of her lips' honey-dew she gave me drink. And with her rosy cheeks quencht fire she set.

لقد ذكرت الفرق الرئيسى بين المستمع الأول لهذه الحكايات وبين المكتتبين فى نادى بورتون · فأولئك كانوا من الصعاليك ، المولعين بكل جديد، الأميين ، المرتابين فى الحاضر والمؤمنين بالعالم الآخر ، أما هؤلاء فكانوا من سادة الغرب ، المؤهلين للشمم والثقافة لا للهول أو القهقهة · أولئك كانوا يعجبون اذا سمعوا أن الحوت يمكن أن يموت عندما يسمع صوت الانسان ، وهؤلاء كان يدهشهم أن يعرفوا أن ثمة أناسا يصدقون وجود قدرة خارقة فى مثل هذه الصيحة · وما يبدو معجزا فى النص الأصلى ـ وهو شىء ظاهر فى الاحداث التى تدور فى كوردوفان أو بولاق حيث تعرض وكأنها حقائق ـ يبدو فقيرا جدا بالنسبة لانجلترا ·

وحتى لا يمل المكتتبون فى النسخ أكثر بورتون من النقاط الشارحة لعادات أهل الاسلام · وتجدر الاشارة الى أن « لين » كان قد قام بشىء من هذا القبيل ، حيث شرح عادات الملبس ونظام الحياة اليومية ، والشعائر الدينية ، وفن العمارة ، وبعض الاشارات التاريخية أو القرآنية ، والألعاب ، والفنون ، والميثولوجيا وهذا كله ورد فى الأجزاء الثلاثة التى أصدرها لين· ولم يكن ينقصه الا الجانب الشهوانى · أما بورتون ( وأول مقال كتبه كان عبارة عن بيان شخصى حول بيوت الدعارة فى البنغال ) فكان قادرا بشكل هائل على الاتيان بهذه الاضافات · ومن مشاهد اللذة الأخيرة التى توقف عندها نجد ملاحظة اعتسافية وضعها فى الجزء السابع ، وهى موجودة فى الفهرس تحت عنوان « أغطية حزينة » وقد اتهمته مجلة Edinburgh بأنه يكتب من أجل البالوعة · وقد عللت دائرة المعارف البريطانية ذلك بأن النقل الكامل غير مقبول ، وأن ترجمة ادوارد لين مازالت لا يعلى عليها فى تناولها الجاد للحكاية · وعلى أية حال فان هذه النظرية الغامضة حول الأفضلية العلمية والتوفيقية للتنقيح لا تسوؤنا · لقد كان بورتون يستميل هؤلاء الغاضبين ومن جهة أخرى فان التغييرات القليلة التى يدخلها على الحب الجسدى لا تستنفد الاهتمام بالتفسيرات التى يقدمها · لقد كان يشبه

دائرة المعارف ، كما كان اهتمامه ينصب فى أشياء تخالف حاجته · وهكذا فان الجزء السادس ( الموجود أمامى ) يتضمن حوالى ثلاثمائة ملاحظة من أهمها الملاحظات التالية : « ادانة السجون ودفاع عن العقوبات الجسدية والغرامات ؛ أمثلة من تقدير المسلمين للخبز ؛ أسطورة حول وجود شعر فى ساقى الملكة بلقيس ؛ بيان بشأن الألوان الشعارية الأربعة للموت ؛ النظرية الشرقية عن عدم الاعتراف بالجميل وتطبيقها ؛ بيان عن أن شعر الماعز هو ما تفضله الملائكة ؛ هكذا مثل عفاريت النضار ؛ موجز عن أسطورة ليلة السلطة السرية أو ليلة الليالى ، ادانة لسطحية أندرية لانج ، تشهير بالنظام الديمقراطى ؛ قائمة بأسماء محمد فى الأرض وفى النار وفى البستان ؛ ذكر لشعب الأمل ذى الأعمار الطويلة والمقامات الطويلة ؛ خبر عن عورة المسلم التى تشمل ما بين الصرة والركبة فى الرجل وما بين الرأس والرجلين فى المرأة ؛ اطراء لرعاة البقر فى الأرجنتين ، انذار عن مضايقات ركوب الخيل عندما تكون المطية أيضا بشرية ؛ مشروع عظيم عن التناسل بين قرود مدغشقر وبين النساء وتوليد جنس جديد من البروليتاريا الطيبين » · وعندما بلغ الرجل الخمسين عاما تجمعت لديه خبرات من الحنان والسخرية والفحش والحكايات المنقولة ومن ثم فقد استبعد بورتون بعض هذه الأشياء من ملاحظاته ·

وتظل المشكلة الرئيسية قائمة وهى كيف أمكن تسلية فرسان القرن التاسع عشر بأقاصيص تقوم على الدسائس من القرن الثالث عشر ؟ معروف جيدا أن لغة ألف ليلة وليلة فقيرة جدا من الناحية الأسلوبية · وقد تحدث بورتون ذات مرة عن « النغمة الجافة التجارية لدى الناثرين العرب ، على عكس ما هو معروف عن الفرس من مبالغات فى استخدام المجاز ، أما ليتمان وهو آخر مترجم لهذه القصص فيتهم بأنه أدخل كلمات مثل سأل ، طلب ، أجاب فى خمسة آلاف صفحة تتجاهل تماما صيغة أخرى هى « قال » التى تتردد باستمرار · وبورتون يردد بشغف استبدالات هذا التعبير · وكلماته ليست أقل تنوعا من ملاحظاته · ومن ثم فأننا نجد القديم يتعايش مع الحديث، والخيش البحرى أو النسيج الغليظ مع المصطلح الفنى · ولا يخجل بورتون من تهجين اللغة الانجليزية : ولا يحظى برضاه الفهرس الاسكندنافى لموريس، ولا لاتينية جونسون ، وانما الذى يحظى بذلك هو ما بينهما من صلة، وما

ينعكس بين كليهما ، وتكثر الاشتقاقات الجديدة والكلمات الأجنبية مثل :
Castrato, inconséquence, hauteur, in gloria, bagnio, langue fourrée, pandonor, vendetta, wazir.

وكل واحدة من هذه الكلمات يمكن أن تكون مظبوطة ، لكن اقحامها يحدث نوعا من التزييف ، وهو تزييف جيد ، نظرا لأن هذه الشقاوات اللفظية ـ فضلا عن النحوية ـ تخفف أحيانا من صرامة تيار الليـــالى · ويتصرف بورتون فى الترجمة ، فهو فى البداية يترجم سليمان بن داود بـ On the ثم عندما لا يستسيغ هذه الصيغة يجعلها On the Solomon Davidson (Twain he peace) انه يجعل من الملك الذى يشير اليه المترجمون الآخرون على نأ ملك سمرقند فى فارس a King of Samarcanel in Barbarian-land يجعل منه مشتريا ينظر اليه الآخرون على أنه سريع الغضب a man of Wrath وهذا ليس كل شىء : ان بورتون يعيد كتابة القصة الهامشية النهائية كاملة ويضيف اليها بعض التفاصيل العرضية والعلامات الفسيولوجية وهو بذلك يبدأ حوالى عام ١٨٨٥ تقليدا سوف يستكمله من بعد الدكتور ماردروس · وعادة فان الانجليزى أكثر التصاقا بالزمن من الفرنسى ومن ثم فان أسلوب بورتون غير المتجانس قد تقادم بشكل أقل مما حدث لأسلوب مارد روس ، الذى يعود الى تاريخ أحدث ·

## ٢ ـ الدكتور مارد روس

كان مصير ماردروس متناقضا فى الظاهر · فاليه ينسب الفضـــل المعنوى فى أنه أكثر المترجمين صدقا لألف ليلة وليلة ، وهو كتاب يشتمل على دعارة محببة كانت تحجب عن القراء بسبب تهذيب جالاند وتكلف لين فى اصطناع الطهارة · ويظهر حسه الأدبى المرهف فى العنوان الجانبى ونصه : « ترجمة حرفية كاملة للنص العربى » ، وكذلك فى كتابته لعنوان الليالى على النحو التالى ، « كتاب ألف ليلة وليلة » · وعلى أية حال فان هذا الاسم قد خضع للتعديل أكثر من مرة ، ويحسن بنا قبل الحـــديث عن مارد روس أن نتناول تطوره حتى وصل الى هذه الصورة ·

يضع السعودى فى شفور الذهب لهذه المجموعة من الحكايات عنوانا هو « هزار افسان » وهى كلمات فارسية معناها الصحيح هو « الف مغامرة »

وان كان الناس قد اطلقوا عليها « ألف ليلة » · وثمة وثيقة أخرى من القرن العاشر وردت فى « الفهرست » تحكى قصة هذه الحكايات فتقول أنها تدور حول قصة الملك الحزين الذى أقسم أن يتزوج كل ليلة عذراء يقتلها عنـــد الفجر ، حتى كانت شهرزاد التى أخذت تستميله بحكايات عجيبة حتى بلغت ألف ليلة فقدمت له ابنها منه · وهذه النهاية ـ التى تعلو على موكب شوسر المثير للشفقة أو وباء جيوفانى بوكاشيو ـ يقال أنها وضعت مؤخرا ، وأنهـا حبكت بهدف تبرير القصة ··· وعلى أية حال فان عدد ألف ليلة سرعان ما بلغ ألف ليلة وليلة · كيف اذن ظهرت هذه الليلة الاضافية التى لا غنى عنها ، والتى تشبه ما نجده عند كيفيدو ثم فوليتر من سخرية ، وعكس ما نجده عند بيكودى لاميراند وفى « كتاب كل الأشياء وأشياء أخرى كثيرة ؟ · ويرى ليتمان أن الكلمة التركية bin bir لها تأثير فى ظهور هذا الاسم ، ومعناها الحرفى ألف وواحد واستخدامها يعنى « كثير » · أما لين فى بدايات عام ١٨٤٠ فقد أضاف سببا آخر وجيها هو الخوف الســـحرى من الأرقام الزوجية · والحق أن المغامرات حول الاسم لم تقف عند هذا الحد · فأنطوان جالاند منذ عام ١٧٠٤ حذف التكرار من الأصل وترجم العنوان هكذا « ألف وواحد ليلة » وهذا الاسم شائع حاليا فى كل الأمم الأوربية ما عدا انجلترا التى تفضل اسم « الليالى العربية » · وفى عام ١٨٣٩ وجد ناشر طبعة كلكتا و · هـ · مانهاتن بعض الشك فى ترجمة « كتاب ألف ليلة وليلة » بنفس هذا العنوان · وهذا التجديد فى نص العنوان لم يذهب بدون صدى · فمنذ عام ١٨٨٢ بدأ جون بين فى نشر Book of the Thousand nights and one night والكابتن بورتون ، منذ عام ١٨٨٥ أخذ هو الآخر فى نشر Book of the Thousand nights and a night ، و ج · ث مارد روس أخذ أيضا منذ عام ١٨٩٩ فى نشر Livre des Mille Nuits et une Nuit.

لكن هناك فقرة جعلتنى أشك نهائيا فى صحة هذا العنـــوان الأخير · وهذه الفقرة وردت فى التاريخ المذهبى لمدينة لاتون Laton ، التى تأتى فى كل الترجمات فى نهاية الليلة ٥٦٦ وجزء من الليلة ٥٧٨ ، ولكن الدكتور مارد روس جعلها فى الليلتين رقم ٣٣٨ و ٣٤٦ والله وحـــده هو العالم بالأسباب · ولن أقف كثيرا عند هذه النقطة ، فهذا التعديل الغير مفهوم لقائمة مثالية لا يجب أن يأتى على كل مالدينا من قدرة على الدهشة ، تقول شهر زاد فى ترجمة مارد روس : « كانت المياه تمضى فى أربع قنوات محفورة

في طابق الإستقبال ، لها تفريعات ساحرة · وكان في كل قناة سرير من لون خاص : فالقناة الأولى كان بها سرير من الحجر المزهر ، والثانية بها سرير من الزبرجد ، والثالثة من الزمرد ، والرابعة من الفيروز ، بحيث كانت المياه تأخذ لون السرير ، ويتخللها الضوء الخافت الذى كانت تعكسه ستائر الحرير من عل ، وكان هذا المنظر يمنح للاشياء شكلا رائعا كما يضفى على جدران المرمر حلاوة منظر البحر » ·

وهذه الفقرة أقبلها على أنها وصف من النثر المرئى على طريقة تصوير دوريان جواى ، بل انى أقدرها لو أنها ترجمة حرفية كاملة لفقرة محررة منذ القرن الثالث عشر · ولكنها فى الوقت نفسه تروعنى بشكل هائل ، وأسباب ذلك كثيرة · فشهر زاد بدون مارد روس تصف بطريقة عد الأجزاء ، وليس على طريقة الانفعال المتبادل ، ثم أنها لا تضيف تفاصيل عرضية مثل الماء الذى يشف عن لون السرير ولا يحدد نوعية الضوء المنعكس من الحرير ، ولا يشير الى صالون رسامى الألوان المائية فى الصورة الأخيرة · وشىء آخر صغير هو أن تعبير « تفريعات ســـاحرة » "desvios encantadores" ليس عربيا ، بل من الواضح أنه فرنسى · وعلى أية حال فان الاسباب السالفة الذكر لا أعتقد أنها كافية ، أنها بالفعل لم تكفنى ، ومن ثم فقد قمت بمضاهاة الترجمات الالمانية الثلاثة التى قام بهـــا ويل وهينج وليتمان والترجمتين الانجليزيتين لكل من لين والسير ريتشارد بورتون · وقد خرجت بالنتيجـة التالية وهى أن أصل السطور العشرة السالفة عند مارد روس هو هـــذه الجملة : « وكانت السواقى الأربع تصب فى حوض من المرمر ذى الألوان المتعددة » ·

ان حواشى مارد روس ليست متناسقة · ففى بعض الأحيان تأتى مختلة اختلالا كبيرا ، ويبدو وكأنه يناقش فجأة انسحاب بعثة مارشاند Marchand فهو يترجم مثلا : « كانوا يسيطرون على مدينة من الاحلام ··· الى أى مدى كانت النظرة المثبتة تنطلق فى الآفاق الغارقة فى الليل ، فتلمح قباب القصور وشرفات المنازل ، والحدائق الغناء كانت تمتد فى ذلك السور البرونزى · أما القنوات التى تشع عليها النجوم فكانت تمضى فى دوائر بيضاء منتشرة فى ظل كثيف ، بينما كان هناك فى الأعماق بحر من المعدن يشتمل فى أحضانه الباردة على نيران السماء منعكسة » · أو هذا المثال الذى يشيع فيه الأســـلوب

الفرنسى : « وكان ثمة سجادة جميلة ألوانها رائعة معمولة من الصوف الجيد · تفتح أزهارها بلا رائحة فى بستان بدون عصارة ، وكانت تحيا كل حياتها الصناعية على حساب أزهارها المليئة بالعصافير والحيوانات ، المندهشة من جمالها الطبيعى الجذاب ، وخطوطها الدقيقة » · أما الأصل العربى للسطور فهو : « وعلى الجانبين كان هناك أبسطة بها أشكال متعـــــددة من الطيور والحيوانات المتوحشة ، مطرزة بالذهب الأحمر والفضة البيضـــاء ، لكن عيونها من اللؤلؤ والياقوت · وكل من ينظر اليها لابد وأن تصيبه الدهشة ·

ان مارد روس لا يترك أبدا الاعجاب بفقر « اللون الشرقى » فى ألف ليلة وليلة · وهو يسرف بمثابرة عجيبة فى الحـــديث عن الوزراء ، والقبلات والنخيل والاقمار · أنه يقرأ مثلا فى الليلة ٥٧٠ هذه الكلمات « لقد وصلوا الى عمود من الحجر الأسود ، كان به رجل مدفون حتى ابطيه · وكان لهذا الرجل جناحان عظيمان وأربعة أذرع ، اثنان منهما كانا يشبهان أذرع أبناء آدم والاثنان الآخران يشبهان خفاف الأسود ، أما الأظافر فكانت من الحديد وشعر رأسه كان يشبه ذيول الأفراس ، والعيون مثل الجمرات · وكان له فى جبهته عين ثالثة تشبه عين الوشق » · فهذه الفقرة يترجمها مارد روس على النحو التالى : « ذات مساء ، وصلت القافلة الى عمود من الحجارة السوداء كان مربوطا فيه كائن غريب لم يكن يرى منه الا نصف جســـمه فقط ، أما النصف الثانى فكان مدفونا فى الأرض · وهذا الجزء الظاهرى من الارض كان يبدو مسيخا هائلا مثبتا هكذا بقوة العوالم الأرضية · كان أسودا يشبه جذع نخلة قديمة متهالكة ، مفرغة من جريدها · وكان له جناحان أسودان هائلان وأربعة أيدى أثنان منهما يشبهان خفاف الأسود ذات الاظافر وكان شعره جعدا له أهداب خشنة مثل ذيل الحمار الوحشى ، وكان يتحرك بطريقة وحشية فوق جمجمته الرهيبة · وتحت قوسيه المداربين كانت تلمع حدقتان حمراوان ، فى حين أن الجبهة ذات القرنين المزدوجين كانت بها عين واحدة مفتوحة بثبات لا تغمض ، وكانت تنطلق منها أشعة خضراء مثل نظرة النمور العادية والرقطاء »·

وبعد ذلك بأسطر يكتب مارد روس : « أن برونز الجدران ، والحجارة المضاءة فى القباب ، والشرفات البيضاء ، والقنوات ، والبحر بأجمعه فضلا عن الظلال الموجهة نحو الغرب ، كان كل هذا يتزاوج تحت نســمات الليـل

والقمر الساحر » ٠ وان كلمة ساحر لابد وأنها كانت صفة مجددة جدا بالنسبة للرجل من القرن الثالث عشر ، لكنها بالطبع لم تكن مجرد هذه الصفة الشائعة التى جاء بها دكتورنا الغزالى ٠٠ اننى أشك فى أن لا تكون اللغة العربية صالحة لاعطاء ترجمة حرفية كاملة لفقرة مارد روس ، كما هو الحال أيضا بالنسبة للغة اللاتينية أو الأسبانية التى كتب بها ميجيل دى سرفانتيس ٠

ويتوسع كتاب ألف ليلة وليلة فى طريقتين ، أولاهما شكلية محضة وهى النثر المسجوع والثانية وجود مواعظ أخلاقية ٠ أما الطريقة الأولى التى حافظ عليها بورتون وليتمان فتعود الى حركة القاص : أشخاص ذوو وسامة، وقصور ، وحدائق ، وعمليات سحرية واذكار الهية ، غروب الشمس ، معارك، طلوع الفجر ، بدايات ونهايات القصص ، ومارد روس يهمل هذه الأشياء ٠ أما الطريقة الثانية فتنطوى على صعوبتين ، أولاهما أنها تخلط جيدا بين كلمات مجردة وثانيهما أنها تطرح دون حرج وجود مكان مشترك ٠ وتخلو ترجمة مارد روس من الطريقتين تماما ٠ فمن هذه الفقرة التى ترجمها لين على النحو التالى :

And in this palace is the last information respecting lords collected in the dust,

نجد الدكتور مارد روس لا يأخذ منها الا الكلمات التالية : « مضى كل هؤلاء ، ولعلهم لم يجدوا الوقت للراحة فى ظل أبراجى » ٠ وكذلك الفقرة الخاصة باعتراف الملاك ، والتى نصها : « انتى سجين القدرة ، طريد البهاء يقع على العقاب طالما أمر بذلك الخالد صاحب الحول والطول » ، هذه الجملة يترجمها مارد روس على النحو التالى : « أنا هنا مقيد بالقوة غير المرئية حتى نهاية القرون » ٠

كما أن السحر ليس له فى ترجمة مارد روس أثر كبير ٠ أنه لا يقدر على ذكر شىء مما وراء الطبيعة دون أن تند عنه ابتسامة ٠ فهو مثلا يتصور أنه يترجم هذه الفقرة : « ذات يوم بينما كان الخليفة عبد الملك يستمع لحديث عن بعض الأوانى من النحاس القديم ، التى تحتوى على دخان أسود غريب فى شكل الشياطين أصابته دهشة كبيرة ، وأخذ يشكك فى حقيقة بعض

الأشياء الواضحة تماما وعندئذ تدخل الرحالة طالبت بن سهيل » . ففى هذه الفقرة ( التى تنسب قبل الفقرات الاخرى السالفة الذكر الى تاريخ مدينة لاتون التى هى من اليرونز عند مارد روس ) نجد أن كلمتى « الواضحة تماما » والشك المفترى به على الخليفة عبد الملك مجرد اضافات شخصية من المترجم .

ثم يواصل مارد روس استكمال العمل الذى أهمل بعض لوازمه أولئك المؤلفون العرب المجهولون . ولذلك فانه يضيف مشاهد جديدة تماما ، ويدخل مناظر داعرة ، ومقدمات كوميدية موجزة ، وملامح عرضية ، فضلا عن تنسيق بعض الاشياء ، وادخال مشاهد شرقية مرئية . ولنذكر مثالا من أمثلة كثيرة : ففى الليلة ٥٧٣ يأمر الوالى موسى بن نصير حداديه ونجاريه بانشاء سلم قوى جدا من الخشب والحديد . ومارد روس فى الليلة ٣٤٤ يعدل هذا الحدث البسيط ، فيضيف أن رجال المعسكر بحثوا عن أغصان جافة وقشروها بحد السيوف والسكاكين ، وعلقوها فى العمائم والاحزمة ، وأحبال الجمال ، والبطانات وزخارف الجلد ، حتى كونوا من كل هذا سلما عاليا ، أسندوه الى الحائط ، وثبتوه بأحجار من كل الجوانب ... وعلى أية حال فان مارد روس لا يترجم الكلمات وانما أفكار الكتاب ، وهى حرية لا يسمح بها للمترجمين وانما يسمح بها لرسامين فقط ، الذين يسمح لهم باضافة أشياء من هذا القبيل ... ولست أدرى هل هذه التسليات الضاحكة هى التى تعطى ترجمة مارد روس هذا المزاج السعيد أم لا ، وهو مزاج يعتمد على الكذب الشخصى لا على مهمة البحث فى القواميس . وعلى كل حال فان ترجمة مارد روس هى أكثر الترجمات قراءة بعد ترجمة بورتون التى لا نظير لها بالرغم من أنها أيضا ليست صادقة كل الصدق .

( فعند بورتون نجد التحريف من نوع آخر . انه يكمن فى استخدام اللغة الانجليزية المتبذلة باسراف كبير ، فضلا عن تحميل الأسلوب بكلمات قديمة ووعرة ) .

وانى أرثى ( لنفسى لا لمارد روس ) لأن السطور السابقة تبدو وكأنها تشى بهدف بوليسى . فمارد روس هو المستعرب الوحيد الذى تكفل بمجده الأدباء ، وكان نجاحهم فى ذلك مبالغا فيه لأن المستعربين أنفسهم يعرفون من هو . وكان أندريه جيد من أول الذين امتدحوه فى أغسطس عام ١٨٨٩ .

ولا اظن أن كاتشيلا وكابديفيلا سيكونان آخر من اعتصه . وهدفى ليس هو التقليل من هذا الاعجاب بل توثيقه . ان الاحتفال بالتزام مارد روس معناه اهمال روح مارد روس ، أو عدم الاشارة اليه . أن عدم التزامه ، عـــدم التزامه الخلاق السعيد هو ما يجب أن يهمنا فى هذا الصدد .

## ٣ ـ اينو ليتمـــان

تشتهر ألمانيا بطبعة شهيرة من ألف ليلة وليلة ، كمـــا يحق لها أن تفخر بأربع ترجمات هى : ترجمة أمين المكتبة جوستاف ويل بالرغم من كونه يهوديا ، وتوجد فى ترجمته بعض الكلمات القطالانية المأخوذة من احـــدى دوائر المعارف ، والثانية هى ترجمة ماكى هيننج مترجم القرآن ، والثالثة هى ترجمة رجل الآداب فيلكس بول جريف ، أما الرابعة فهى ترجمة اينـــو ليتمان الذى اشتهر بفك طلاسم النقوش الاثيوبية فى قلعة أقوم Axum وأكثر الترجمات عذوبة هى الأجزاء الأربعة من الترجمة الأولى ( ١٨٣٩ ـ ١٨٤٢ ) نظرا لأن صاحبها ـ الذى غادر أفريقيا وآسيا بسبب الدوسنتاريا ـ يهتم بالمحافظة على الأسلوب الشرقى . أما اضافاته فتستوجب كل الاحترام. فهو مثلا يقول على لسان بعض الدخلاء فى أحد الاجتماعات : « لا نريد أن تظهر على الصبح ، فهو يبدد الحفلات » . ويقول عن أحد الملوك الكرماء : « ان النيران التى تتقد من أجل ضيوفه تذكر الانسان بالجحيم ، وندى يديه الكريمتين يشبه الطوفان » . ويقول عن اخر « ان يديه حرتان مثل البحر ». وهذه التعبيرات المتألقة ليست مما يود على قلم بورتون أو مارد روس ، وقد خصصها المترجم للابيات الشعرية التى استطاع أن يجعلها مشابهة فى القافية للاصل . وفيما يتعلق بالنثر أرى أنه ترجمه كما هو مع حذف بعض الأشياء التى تستحل التبرير ، كما حافظ على مشاهد النفاق وعدم الحياء . وقـــد امتدح بورتون هذا العمل قائلا : « بانها ترجمة أمينة ذات طابع شعبى » . وبما أن الدكتور ويل كان يهوديا ( بالرغم من كونه أمين مكتبة ) فقد أثر هذا على لغته ، التى أخذت طعم الكتابات المقدسة .

أما الترجمة الثانية ( ١٨٩٥ ـ ١٨٩٧ ) فتنحرف عن الدقة فى النقل وفى الأسلوب أيضا أنها ترجمة هيننج المستعرب القادم من ليبزج الى مكتبة فيليب وكلام العالمية . أنها ترجمة منقحة وان كانت دار النشر قالت بعكس

ذلك · والأسلوب به بعض المسخ · ولكن فضيلته الكبرى تتمثل فى التوسع وطباعة بولاق وبرسلو ممثلة فى هذه الترجمة ، طبقا لما هو وارد فى مخطوطات زوتنبرج والليالى الملحقة بترجمة بورتون · ان هيننج مترجم السير ريتشارد يتفوق فى الجانب الحرفى على هيننج مترجم العربى ، وهذا فى حد ذاته يعد تأكيدا لما للسير ريتشارد من أفضال على العرب · وفى مقدمة هذا العمل ونهايته تكثر كلمات المديح الموجهة لبورتون ، ولعل بورتون لا يستحق ذلك فى هذا الموضع نظرا لأنه كما عرف قد استخدم لغة شوسر Chaucer المساوية للغة العربية فى العصر الوسيط ·

ولعل الاشارة الى شوسر باعتبار أنها تمثل احدى مصادر كلمات بورتون لها أسباب منقولة ( والبعض يشيرون الى رابليه صاحب السير توماس أوركارت ) ·

أما الترجمة الثالثة التى قام بها جريف فمأخوذة عن انجليزية بورتون وتكرارها فيما عدا الملاحظات الكثيرة التى تشكل دائرة معارف · وقد نشر جريف هذه الترجمة قبل حرب الانسبل ـ فيرلاج ·

والترجمة الرابعة تأتى لتكمل السابقة · انها مثلها مكونة من ستة أجزاء ، وموقعة باسم اينو ليتمان ، الذى فك طلاسم آثار أفسوم Axum وصنف الـ ٢٨٣ مخطوطا أثيوبيا المحفوظة فى القدس ، والذى كان يتعاون مع Zeitschrift für Assyriologie · ولولا وجود المماطلات اللطيفة المعروفة عن ترجمة بورتون فى هذه الترجمة لاعتبرت من أسخى الترجمات· ان مناظر الفحش القوية لا تقف عائقا أمامها ، لأن المترجم يعرف كيف يصبها فى لغة ألمانية هادئة وأحيانا قليلة باللغة اللاتينية وهو لا يحذف أى كلمة ، حتى من هذه الكلمات التى تتكرر ألف مرة بين كل ليلة وأخرى · كما أنه يهمل اللون المحلى · وقد اضطر للاشارة الى الناشرين حتى يحتفظ باسم « الله ولا يحل محله اسم الاله (Dios) · وقد ترجم الأشعار العربية الى أشعار غربية مثلما فعل بورتون وجود بين · وهو يعلن بسذاجة أنه بعد التنبيه المتكرر « فلان أنشد هذه الأشعار » يمكن أن تأتى فقرة من النثر الالمانى تجعل القراء فى حيرة ، كما أنه يضع الملاحظات اللازمة لفك مغاليق النص ، حيث نجد فى كل جزء حوالى ٢٠ ملاحظة كلها مقتضبة · وهو دائما لماح

ومفهوم ومتوسط الجودة ؛ ثم أنه حسبما يقال يتبع النفس العربى . واذا كانت دائرة المعارف البريطانية لا تحتوى على أخطاء فان ترجمته تعد أفضل الترجمات الشائعة . وقد سمعت أن المستعربين موافقون على هذا الرأى ، وان كان هناك بعض المتأدبين - وأحدهم هذه المرة من الارجنتين - يرون العكس .

والسبب الذى أستند اليه هو هذا : ان ترجمات بورتون ومارد روس وحتى جالاند ، لا تستوعب الا بعد الدرس - ومهما كانت عيوب أو مميزات هذه الأعمال المتميزة فانها تذهب بفضل السبق - ان التطـــور الانجليزى الخلاق ينعكس بشكل ما فى ترجمة بورتون ، ففيها نجد دعـــارة جون بين القاسية ، وكلمات شكسبير وكبريل تورنر الهائلة الثراء ، والولع بالمفردات القديمة عند سوينبورن ، والاغراق فى الجانب التثقيفى عند كتاب بداية القرن السابع عشر ، كما نجد الطاقة والابهام وحب العواصف والشغف بالسحر . أما فقرات مارد روس الباسمة فتتعايش مع سلامبو ولافونتين و « مانيكيه ممبر » والبالية الروسى . وفى ليتمان الذى لا يجرؤ مثل واشنطن على الكذب لا تجد أكثر من الأمانة الالمانية . وهذا شىء قليل ، جدا ، ان التجـــارة بين الليالى وألمانيا كان يجب أن تنتج أكثر من ذلك .

ومعروف أن ألمانيا فى مجال الفلسفة ، ومجال القصة قدمت انتاجا يفوق الوصف غرابة ، أو بمعنى أصح ليس لديها الا ذلك الأدب الغريب . وفى « الليالى » توجد عجائب كنت أتمنى أن أراها مكتوبة بالالمانية . وأنا اذ أصوغ هذه الامنية أضع عينى على ما فى القصة من أعاجيب متداولة مثل العبيد الأقوياء الذين يخرجون من مصباح أو خاتم ، والملكة لاب b. التى تحول المسلمين الى عصافير وصاحب زورق النحاس المسحور الذى يحمل كلمات مكتوبة على صدره ، فضلا عن الحكايات العامة التى تستلزمها ضرورة استكمال أحداث الليالى . وعندما تنفد هذه الحكايات العجيبة نجد أن ثمة واجبا آخر يقع على عاتق الناقلين هو تحقيق الاحـــداث التاريخية والأشياء التى لها نصيب من الواقع . ففى نغمة واحدة يتعايش الياقوت الذى يصعد الى السماء مع أول وصف لجزيرة سومطرة ، وملامح بلاط العباسيين مع ملائكة الفضة الذين يعيشون على فضل الاله . وهـــذا الاختـــلاط فيه شاعرية ، ويمكن أن نقول نفس الشىء عن بعض الأشياء المكررة . أليس عجيبا

أن نجد الملك شهريار فى الليلة ٦٠٢ يستمع الى قصته نفسها على لسان الملكة شهر زاد ؟ وحسب التقليد العام فان القصة الواحدة عادة ما تحتوى على قصص أخرى قد لا تقل عنها فى الطول · ومن ثم نجد مشاهد داخل مشاهد على نحو ما يرد فى تراجيديا هاملت وكلها تهويمات تنطلق بقوة الحلم · وهذا البيت المستغلق الواضح للشاعر تيينسون يبدو وكأنه يدل على هذه الحالة ، يقول :

Laborious orient ivory, sphere in sphere Hidra

ولمزيد من الدهشة ، نجد أن هذه الرؤس العرضية عند هيدرا يمكن أن تكون أكثر تحديدا من الجسد · ان شهريار ذلك الملك الخـــرافى لجزر الصين والهندوستان يستقبل الاخبار من طارق بن زياد حاكم طنجة المنتصر فى معركة وادى لكة ·· أن الابهاء تختلط بالمرايا ، والقناع يقع تحت الوجه ، فلا أحد يدرى من هو الانسان الحقيقى ومن هم أوثانه · ولكن لاشىء من هذا يهم ، فهذه الفوضى طفيفة ومقبولة مثل تهويمات أحلام اليقظة ·

لقد لعب الحظ مع التناسب (La simetria) على عكس الاستطراد · ماذا كان يستطيع أن يعمل رجل مثل كافكا يقوم بتنظيم وترتيب مثل هـــذه الألعاب ويعيد صياغتها حسب الأسلوب الألمانى ، حسب La Unheimlichkeit الالمانى ؟